المنهج اللغوي في تفسير *منة المنان* في الدفاع عن القرآن للسيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره

The Linguistic Approach to Interpreting *Mannat al-Mannan* in Defense of the Qur'an by Sayyid Muhammad Muhammad Sadiq al-Sadr (may God sanctify his secret)

م. د. عبد الحكيم فاخر فرج

Inst. Dr. Abdul Hakim Fakher Faraj

abdulhakeem. fakher@ijsu. edu. iq

قسم علوم القرآن/ كلية التربية/

جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام، ميسان

Department of Holy Quranic Sciences/ Faculty of Education/ Imam Jaafar Al-Sadiq University, Maisan

الملخص

الدراسة اللغوية والنحوية لها الاهمية الكبيرة في بحوث التفسير في القرآن الكريم، ويكون الارتباط بين اللغة ومفاهيم القرآن الكريم العامة قائما، والعلاقة بين اللغوي والمفسر متينة، وحيث ان المفسر لا يكون مفسرا مالم يطلع وبإمعان على اللغة وقواعدها ونصوصها وأدبياتها، وكل ما يتعلق بمضمون اللغة، ونظرا لأهمية هذه الدراسات وجدت العناية بدراسة تفسير منة المنان، ومن خلال قراءتي للتفسير بأجزائه الخمسة، انصبت الجهود الاولية لبحث لغوي حول العناية الجادة في لغة التفسير ومعانيه، للاطلاع والتعرف على منهجيته، حيث لا توجد دراسة لغوية متكاملة في هذا المنهج في التفسير، ويبدو ان التفسير هو حديث العهد لظهوره الى النور ومعرفته في المكتبات العلمية، ومع العلم وجود بعض الدراسات البحثية في قضايا مهمة من التفسير كتب فيها الباحثون باختصار، وقد يهتم بطرح أفكارها الباحثون مستقبلا.

علما انه قد طال الاختيار في التمعن والقراءة، وزاد الاختيار في التعريف والمقارنة بين هذا التفسير والتفاسير الاخرى للمفسرين القدماء والمحدثين. وقد وقع الاختيار في قراءتي على منهج مهم في التفسير اهتم به العلماء والمفسرون، واخترت منه باب المنهج اللغوي، للاطلاع على طريقة المفسر قدس سره في التفسير في الاجزاء الخمسة من تفسيره، من الجزء الثلاثين من الكتاب الكريم، ومن خلال ذلك ادركت ان المفسر رحمه الله استطاع ان يجدد هذه الطريقة ويكثر من اعتمادها، وكذلك ندرك ان الرجل انتهج منهجا لا يختلف عن القدماء في طريقتهم، وارتياد اراءهم، ولا يبعد عن التجديد في صورته لدراسة القرآن، وهو يعطي عناية كبيرة لهذا النوع من التفسير.

فكانت البداية في البحث عن التعريف بحياة السيد الصدر العلمية والفكرية، ثم التعريف بملخص عن التفسير في اللغة والاصطلاح، وبعد ذلك بيان اسباب اعتماد الدرس اللغوي والهدف منه، وخصائص هذا المنهج الذي كتبه المفسر الشهيد قدس سره.

وهناك مقارنات بين عامة المفسرين، والطرق التي اعتمدت في منهجهم التفسيري، حيث يتشابه البعض في الطريقة، او اعتمد البعض طريق المفسر الذي قبله، غير ان المفسر اية الله الصدر ﷺ اعتمد آراء المفسرين في منهجهم اللغوي واتخذ الآراء دارسا ومحللا لها، وقد يقتنع بالرأي او لا، ويضع تعليلا لذلك. وقد نظرنا الى التفسير وأخذنا ملخصا للجانب اللغوي واطلعنا على طريقة المفسر في التفسير، وارتباطه مع علماء التفسير بدراسة بعمق للوصول الى ما هو مطلوب.

الكلمات المفتاحية: المنهج، التفسير، اللغة، منة المنان، الدفاع، القرآن

Abstract

Linguistic and grammatical studies are of great importance in Quranic exegesis research، given the connection between language and the general concepts of the Quran، and the strong relationship between the linguist and the exegete. An exegete cannot be an exegete unless he or she has a thorough understanding of the language، its rules، texts، and literature، as well as everything related to the language's content. Given the importance of these studies, I found interest in studying the interpretation of "Mannat al-Mannan. " Through my reading of the five-part exegesis، initial efforts in linguistic research focused on a serious interest in the language and meanings of exegesis، to explore and become familiar with its methodology.

A comprehensive linguistic study of this approach to exegesis is lacking. It appears that exegesis is relatively recent in its emergence and familiarity in scholarly libraries. However، it is worth noting that some research studies exist on important points of exegesis that researchers may be interested in in the future. It should be noted that the selection has been lengthy in contemplation and reading، and the selection has increased in defining and comparing this exegesis with other exegeses by ancient and modern exegetes.

Through my reading، I chose an important approach to interpretation that scholars and interpreters have paid attention to. I chose the section on the linguistic approach to learn about the interpreter's (may God sanctify his secret) method of interpretation in the five parts of his interpretation، from the thirtieth part of the Holy Book.

Through this، I realized that the interpreter، may God have mercy on him، was able to renew this method and rely on it more. We also realize that the man adopted an approach that does not differ from the ancients in their method and exploration of their views، and is not far from innovation in his form of studying the Quran. He pays great attention to this type of interpretation. The beginning was in the search for an introduction to Sayyid al-Sadr's scientific and intellectual life، then a summary of interpretation in language and terminology، after that، a statement of the reasons for adopting the linguistic study and its objective، and the characteristics of this approach written by the martyred interpreter (may God sanctify his secret). There are comparisons between the general commentators and the methods they adopted in their interpretive approach. Some share similarities in method، while others adopt the approach of the previous commentator.

However، the commentator، Ayatollah al-Sadr، relied on the views of the commentators in his linguistic approach، responding to and analyzing the opinions. He may or may not agree with the opinion، and he provides a justification for that. We examined the interpretation، summarized the linguistic aspect، and examined the commentator's method of interpretation and its connection with the scholars of interpretation، conducting an in-depth study to arrive at the desired conclusion

Keywords: Methodology, Interpretation, Language, Mannat al-Mannan, Defense, Quran

المقدمة

الحمد لله وسلامه على الانبياء والمرسلين ولاسيما النبي المصطفى وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

من يدرس المناهج اللغوية في اراء المفسرين تظهر له اهمية الدرس اللغوي في دروس التفسير؛ فلذا في قراءة عدد من تفاسير العلماء، تراهم يؤكدون في تفسيرهم على المنهج اللغوي، وان كان الغرض الاساس غير هذا، وهذا ما نجده عند السيد الشهيد الصدر قدس سره في تفسيره (منة المنان)، والذي يهتم منطلقا بالجانب اللغوي للوصول الى المطلوب في تفسيره، وكنت في دراستي للدكتوراه باحثا في موضوع مناهج المفسرين في اعراب القرآن وهو ما يخص المنهج اللغوي وقد اخترت الشيخ الطبرسي في مجمعه، والطوسي في تبيانه، والزمخشري في كشافه، والبيضاوي في انواره، وابا حيان في بحره، والرازي في تفسيره، وطرقت الجانب اللغوي في منهجهم، بقي لدي ان استمر في دراسة وقراءة الجانب اللغوي لعدد من المفسرين، وجمعت ما يقرب اكثر من خمسين تفسيرا، وهي في الحقيقة اكثر من ذلك لتصل الى اكثر من مئة كتاب، ولكن كان في اختياري أن أضع بحثا كاملا في منهج التفسير اللغوي في تفسير منة المنان للشهيد الصدر قدس سره، واخترت الجانب اللغوي في تفسيره للجزء الثلاثين، والذي لم يكمله اذ عاجلته المنية شهيدا محتسبا الى ربه. واطلعت على الجانب اللغوي كبداية لكتابة منهجه، والذي يختلف اختلافا كبيرا عن التفاسير اللغوية المعروفة. وبحثا في هذا الموضوع للتعرف على هذا المنهج وطريقته بثلاثة مباحث وبخمسة نقاط:

اهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في المواضع الآتية:

١) مكانة السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره العلمية والتي جعلته عالما ومؤلفا ومفسرا وفقيها وباحثا ومرجعا له الدور الكبير في استقطاب الباحثين والدارسين.
٢) ونتيجة للقدرات العقلية لدى السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره، يكون التفسير أحد المصادر اللغوية في دراسة اللغة العربية وفقهها.
٣) للمنهج اللغوي ودراسته أهمية كبيرة في معرفة الدور الذي يطلع به العلماء في تطوير دراسات اللغة والتفنن فيها وفق المدارس اللغوية، ومعرفة غايات هذه المدارس في الدرس اللغوي.

أهداف البحث:

١) معرفة المنهج اللغوي والارتباط بين المفسرين في الدراسات اللغوية وفق الاسس التي استعملها القدماء والمحدثين.
٢) الالمام بالمنهج اللغوي عند جميع المفسرين اللغويين وارتباط لغة التفسير لدى السيد الصدر قدس سره.
٣) اظهار القيمة العلمية والمعرفية واللغوية لدى صاحب تفسير منة المنان، ودور التفسير في التعريف بالقضية اللغوية.

مشكلة البحث:

مجمل القضية التي طرحت في البحث تمثل طريقة المنهج والتجديد لدى المفسر الشهيد الصدر قدس سره الشريف والردود العامة على مجمل الاتجاهات اللغوية والنحوية لدى العلماء والمفسرين.

وتتضمن مشكلة البحث هنا قضيتين مهمتين هما:

أولا/ الاسلوب المتبع في المنهج اللغوي في تفسير منة المنان.

ثانيا/ الطرق المعتمدة في التفسير والاثر اللغوي في أغلب الاطروحات المتبعة في منهج التفسير.

أسئلة البحث:

بوساطة البحث يظهر لدينا ما يأتي:

١) ماذا نعني بالمنهج اللغوي؟ ومن هم أشهر الدارسين في هذا المنهج؟
٢) ماعلاقة المنهج اللغوي لدى السيد الصدر بالمناهج اللغوية عند المفسرين؟
٣) ما أسباب اعتماد المنهج اللغوي في التفسير؟
٤) ما الأهمية العلمية والمعرفية في الاداء العام للمستويات النحوية واللغوية؟

أبواب البحث:

المبحث الأول:

أولا: مقدمة في حياة الشهيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره.

ثانيا: التفسير لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: المنهج اللغوي في التفسير:

اولا: أسباب اعتماد المنهج اللغوي في تفسيره:

ثانيا: الخصائص اللغوية في تفسير منة المنان:

المبحث الثالث: أثر اللغة والنحو في تفسير منة المنان

الخاتمة والاستنتاج:

المصادر

«المبحث الأول»

اولا: مقدمة في حياته:

مختصر حياة الشهيد أية الله العظمى محمد محمد صادق الصدر قدس سره (الصدر، ٢٠١١، ص١-٢٨).

اسمه:

هو محمد بن محمد صادق بن محمد مهدي بن اسماعيل بن صدر الدين، الذي سميت الاسرة باسمه، والذي يرجع بنسبه الى ابراهيم المرتضى بن الامام ابي ابراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. ولد في السابع عشر من ربيع الاول عام ١٣٦٢هجري اي في يوم المولد النبوي الشريف الموافق ٢٣ اذار ١٩٤٣م تربى في كنف جده لامه اية الله العظمى الشيخ محمد رضا ال ياسين قدس سره.

وقد ذكرت قصة جميلة في كيفية ولادته، ذكر ان اباه لم يرزق ولداً حتى اتفقا السفر الى بيت الله وتشرفا بزيارة النبي ص هنا ابتغى الوسيلة الى الله برزقهما الولد ويسميانه محمد فكان ان من الله عليهما برزقهما هذا المولود المبارك. كان زواجه من بنت عمه، الحجة محمد جعفر الصدر ورزق بأربعة اولاد.

دراسته:

بدا الدرس الحوزي في سن مبكرة اي عام (١٣٧٣هـ) وفي عمر الحادية عشر من العمر درس النحو والمنطق والفقه على يد والده قدس سره، وعلى آخرين من الاساتذة والعلماء كالسيد طالب الرفاعي، والشيخ حسن طراد والسيد محمد تقي الحكيم، والحجة محمد تقي الايرواني. مزج السيد الشهيد بين الدراستين، الحوزوية والاكاديمية، حيث دخل كلية الفقه عام (١٣٧٩هـ) ودرس على يد مشاهير الحوزة العلمية آنذاك. وكذلك درس الانكليزية والتاريخ وعلوم اخرى

ودخل مرحلة السطوح، حيث درس الكفاية على يد الشهيد الصدر الاول قدس سره، ودرس المكاسب عند الشيخ صدر الدين البادكوبي قدس سره. وحضر البحث الخارج على يد اساتذته

١) السيد اية الله العظمى محمد باقر الصدر فقها واصولا.
٢) اية الله روح الله الموسوي الخميني قدس سره فقها.
٣) السيد محسن الحكيم قدس سره فقها.
٤) السيد اسماعيل الصدر قدس سره فقها.
٥) عبد الزهراء الكرعاوي رضوان الله عليه. في المعارف الالهية.

تقدم في المعرفة والعلم كونه تتلمذ على اراء اربعة من العلماء آنذاك. متميزا بالأبداع والفكر والتجديد، وقد أجاز له عدد من العلماء الرواية نظرا لما أبداه من قدرة علمية ومعرفية، وأجيز له بالاجتهاد وعمره ٣٦ سنة من قبل السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره. تمثل بصفات اتسم بها منها السمو والمعرفة والتواضع والالتصاق مع الله سبحانه في سلوكه العرفاني، وحبه للمعصومين عليهم السلام والابتعاد عن الغرور والكبر.

وله من التصانيف المهمة التي زادت على العشرين كتابا فيها مجموعات من المعارف العامة الدينية والفلسفية واللغوية والفقهية واهمها موسوعة الامام المهدي وتفسير منة المنان وفيم وراء الفقه وكتب حول الثورة الحسينية.

الاستشهاد:

استشهد يوم التاسع عشر من شهر شباط عام ١٩٩٩ والموافق ٤ من ذي القعدة على يد جلاوزة النظام البائد والمأجورين وقضي محتسبا شهيدا مع جده سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام.

ثانيا: التفسير لغة واصطلاحاً

اولا / التفسير لغة:

وردت كلمة (التفسير) من (الفسر) كمضمون عام كما يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ):

"وأصل مادته اللغوية (الفاء والسين والراء) كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وايضاحه" (ابن فارس، ١٩٧٩، ص٥٠٤).

ويرى الجوهري (ت٣٩٣هـ): "الفسر: البيان، وقد فسرت الشيء: افسره فسرا والتفسير مثله. واستفسرته كذا وكذا، أي: سألته أن يفسره لي" (الجوهري، ٢٠٠٩، ص٨٨٨).

والمعنى نفسه يضيفه ابن منظور (ت٧١١هـ) بقوله: " فسر: الفسر هو البيان. فسر الشيء يفسره بالكسر، وتفسره بالضم، فسرا وفسره: أبانه. والتفسير مثله. التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل: ﴿**وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾، الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ص١٨٠).

وهذا القول لم اجده في كتب اللغة التي رجعت اليها، وهو قول غير دقيق؛ لان دعوى القلب تحتاج ما يدل غلى صحتها من لغة العرب، والقلب تغيير ترتيب الكلمة الواحدة والمعنى واحد مثل: جذب وجبذ وادق من دعوى القلب. ما قاله الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ): "الفسر والسفر متقارب معناهما متقارب لفظيهما" (الراغب الاصفهاني، جامع التفاسير، ص٤٧، (1984. وقال أيضا: والتفسير في المبالغة كالفسر والتفسير، يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها، قال تعالى: "وأحسن تفسيرا "(الراغب الاصفهاني، ٢٠٠٩، ص٦٣٦). ومن هذا قال الأزهري (٣٧٠هـ) الفسر:

"كشف المغطى" (الازهري، ١٩٦٤، ص٤٠٦). وبه جاء القرآن الكريم. في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٣].

ونقل السيوطي (ت٩١١هـ) في اتقانه مجموعة من الآراء حول موضوع التفسير، وهناك اختلاف بين أصحاب الآراء فالبعض قالوا بمعنى واحد، والبعض الاخر لا يفرقون بين الاثنين بدلالة المعنى الواحد. كما يقول: "واختلف في التفسير أو التأويل، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَطَائِفَةٍ: هُمَا بِمَعْنًى واحد، وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ قَوْمٌ حَتَّى بَالَغَ ابْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ، فَقَالَ: قَدْ نَبَغَ فِي زَمَانِنَا مُفَسِّرُونَ، لَوْ سُئِلُوا عَنْ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ" (السيوطي، ٢٠٠٨، ١٩٢).

ونص في قوله على قول الراغب الاصفهاني مؤيدا هذا النص، بان التفسير في الالفاظ والتأويل في المعاني. بقوله ذاكرا قول الراغب: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الالفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية، والتفسير يستعمل فيها، وفي غيرها " (المصدر السابق، ٢٠٠٨، ص١٩٢).

ثانيا/ التفسير اصطلاحا:

اما في الاصطلاح: فيكون الفاظه بآراء متعددة، ولكن بمعنى واحد، او باختلاف قليل. وحسب اراء العلماء والمفسرين، فقال البعض: التفسير هو العلم الذي يبحث عن معاني الفاظ القرآن الكريم وبيانه، وما يستنبط منه، من خلال التفكير بعمق في كنه اللفظ. ويعرفه الامام الخوئي (ت١٤١٣هـ)* بقوله: "التفسير كشف القناع عما قلنا فلا يكون منه حمل الالفاظ على ظاهره، لأنه ليس بمستور حتى يكشف، وبمعنى هو ايضاح مراد الله تعالى في كتابه العزيز" (الخوئي، ١٩٨١، ص٢٦٩).

ولعل اقرب التعاريف، هو بيان معرفة نطق المفردة في القرآن بصورة صحيحة، ومعرفة معانيها، والاحكام العامة لها، وكيف يكون المعنى في وجودها في عبارة كاملة،

وهذا ما وضحه ابو حيان الاندلسي (ت٤٦٠هجرية) في تعريفه، حيث قال: "هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القران ومدلولاتها واحكامها الانفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب" (الاندلسي، ١٩٩٣، ص٢٦).

وهناك قول اخر بان التفسير: هو الكشف عن المعنى الباطن، والحقائق غير الظاهرة، في امر ما. ويتم من خلال التفسير، وصف هذه الحقائق وشرح اسبابها وما وراءها، وكل ما يتعلق بها وهذه حقيقة سر التفسير (الجابري، عبدالحكيم، مناهج المفسرين في اعراب القرآن، ص١٠، ٢٠٢١). واذا اردنا ان نقرب المعنى للتفسير فيكون راي الزركشي (ت٧٩٤هـ) هو الاقرب فيقول بأن التفسير: "هو العلم الذي يتم من خلاله فهم آيات القران الكريم، ومعرفة دلالاتها واستنباط الاحكام العامة وفي كل النواحي" (الزركشي، ١٩٨٤، ص١٤٧).

وعرفه الشيخ الطبرسي(ت٥٤٨هـ): "هو علم بأحوال تعرف به معاني كلام الله تعالى من الاوامر والنواهي" (الطبرسي، ٢٠٠٥، ص١١).

وأجاد الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) في التعريف فقال: "هو ما يبحث غن استنباط الفوائد والنفائس والمسائل في مراد الله تعالى من قرانه المجيد" (الفخر الرازي ١٩٨١، ص٥).

وقارب القرطبي (ت ٦٧١هـ) أذهان السامعين بقوله بأنه: "بيان لكلام الله المبين لألفاظ القران ومدلولاتها، وهو مبني على قوانين علم ونظر" (القرطبي، ٢٠٠٦، ص١٠). من كل هذه التعاريف وضع المفسرون صورة للمعنى من خلال دراسة الالفاظ والتعمق في اللفظ ومدلوله للوصول الى التعبير والمعنى الصحيح، أي كشف وتوضيح البيان من خلال الالفاظ.

وقد لا يضع السيد الشهيد الصدرقدس سره تعريفا محددا للتفسير كبقية العلماء السابقين، بل انه كان وبدقة، اراد ان يكون مدافعا عن القران عن الشبهات، وذلك

باختياره عنوانه، (منة المنان في الدفاع عن آي القران). ويبدو انه لا تكون هناك حاجة لأي تعريف، فلذلك قال في بداية مقدمته: "لا حاجة في البدء الى الالماع بتعريف القران الكريم، فانه لدى البشر اجمعين اشهر من ان يذكر" (الصدر، ٢٠١١، ج١، ص٣٣). ومن خلال قراءة مقدمة التفسير لم يضع تعريفا للتفسير، فكانه اراد في كتابه الدفاع ضد الشبهات ودفع المخاطر عن القرآن الكريم، يقول: " ومن هنا زادت الاسئلة المدفونة في النفوس والشبهات المعقودة في الرؤوس حتى اصبحت مدخلا للضلال ولدعاة الكفر والالحاد؛ لأجل رد الناس عن دينهم، وسحب يقينهم". (المصدر السابق، ٢٠١١، ج ١، ص٣٣). وكأني استنبط تعريفا لتفسيره هو التصدي الى ذكر الاسئلة التي انحرف الناس بواسطتها، ودراسة الشبهات التي انعقدت في الرؤوس من اجل الوقوف امامها، وابعاد الناس عن منهج الكفر والزيغ، والضلال. بقوله: "ومن هنا احتاج الامر الى قلب قوي والى عقل سوي من اجل التصدي الى ذكر كل تلك الاسئلة وعرض كل تلك الشبهات" (المصدر نفسه، ٢٠١١، ص٣٣).

«المبحث الثاني»

المنهج اللغوي في التفسير

اولا: اسباب اعتماد المنهج اللغوي في تفسيره

حرص الامام الصدر قدس سره على توضيح معالم كتابه في التفسير، في المقدمة التي بدأها في كتابته، ليضع منهجا وطريقا واضحا لتفسيره، ويكتب انموذجا سهلا في الكتابة، ويضع تفكيرا عاليا أثناء خطته ونظامه في التفسير. وهنا بوساطة القراءة للتفسير نجده احتفى طريقة خاصة في الكتابة؛ ليوضح شيئا جديدا مختلفا عن المفسرين، فهو في مقدمته أراد أن يضع منهجا جديدا يصل الى الذهن، بتفكير وروية، ويضع منهجا قويا ورصينا، في الدفاع عن كتاب الله، فهو يبدأ بطريقته على عكس المفسرين عامة، فهو يرى: ان القرآن الكريم معروف لدى الجميع كما ذكر في توضيحه السابق. (الصدر، ٢٠١١، ج١، ص٣١). وتراه في مقدمته لم يتخذ اسلوب الماضين في مقدمات التفسير، حتى البدء في التسليم والصلاة، على غرار قول الشيخ الطوسي مثلا من مفسري الشيعة، والسيوطي من مفسري السنة. حيث بدأ أغلب المفسرين بمقدمتهم المتقاربة في طريقة البدء، يقول الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره: "بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله اعترافا بتوحيده، واخلاصا لربوبيته، واقرارا بجزيل نعمته، واذعانا لعظيم منته، وشكرا على جميع مواهبه، وكريم فواضله، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله، والطاهرين من عترته، والطيبين من أرومته، وسلم تسليما. أما بعد فان الذي حملني على الشروع في عمل الكتاب؛ ان لم اجد احدا من اصحابنا قديما وحديثا من عمل كتابا يحتوي على جميع القرآن، ويحتوي على فنون معانيه؛ وانما سلك جماعة فهم من جميع ما رواه ونقله، وانتهى اليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرض منهم لاستبعاد ذلك، وتفسير ما يحتاج اليه" (الطوسي، ١٩٦٤، ص١).

وكذا غيره من المفسرين قد صدحت مقدمته بنفس الترتيب والبدء فنجد السيوطي (ت٩١١هـ) يذكر في مقدمته، وبنفس الاتجاه عند جميع المفسرين في التوطئة والتقديم بتعبير حكمي وبلاغي. "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولى الالباب، وأودعه فنون العلوم والحكم والعجب العجاب، وجعله أجل الكتب قدرا وأعزها علما، وأعظمها نظما، وأبلغها في الخطاب قرآنا عربيا غير ذي عوج... وبعد فأن العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك الى قلبه لولا يصار من أراد السبيل الى استقصائه، لم يبلغ الى ذلك وصولا". (السيوطي، ١٩٧٤، ص١٥).

وبعد اعتماده الطريقة التي بعد عنها عن القديم في التقديم توجه الى معرفة الاسباب في اختيار المنهج اللغوي اولا قبل ان يبدأ تفسيره، واذا اردت ان تقلب التفسير في اجزاءه الخمس تجد ان التفسير اللغوي طاغ على اوراقه ومحاضراته، وقبل ان نعرج في موضوع التفسير اللغوي وهو الموضوع الاصل لابد ان نتعرف على المصطلحات الخاصة بهذا النوع من التفسير فنعرج اولا على المصطلحات المذكورة، وهي المنهج والتفسير عموما والتفسير اللغوي وتسمية الكتاب والدفاع عن القران.

يتبادر للذهن ان أغلب المفسرين اعتمدوا المستويات اللغوية أثناء دراستهم للتفسير القرآني، ومنذ بداية نشأة المنهج اللغوي، وكانت البدايات لهذا المنهج عند كل المفسرين وهي بديهيات ثابتة عند المفسرين ولا يمكن تفسير القرآن الكريم مالم تكن هناك احاطة باللغة ونحوها وفقهها وأدبها وصرفها، فنجد هذا المنهج في كتب المفسرين منهم الكشف والبيان لأبي اسحاق الثعلبي (ت٤٢٧هـ) وعند العلامة محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسيره التبيان. واضواء البيان والكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، فكذا نجد وضوحه عند العلامة الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) في تفسيره مجمع البيان. ومفاتيح الغيب للعلامة الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) والتبيان في اعراب القران لابي البقاء العكبري (ت٦٢٦هـ) و ابو عبدالله محمد بن احمد القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القران (ت٦٧١هـ)، وكذلك عبدالله

بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٦هـ)، والبحر المحيط لابي حيان الاندلسي (ت٧٤٥هـ) وتفسير الدر المصون للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) وتفسير روح المعاني لابي الثناء الالوسي (ت١٢٧٠هـ)، وغيرهم من المفسرين اهتموا بالمستوى اللغوي وعدت تفاسيرهم من التفاسير اللغوية للقران الكريم. والبعض منهم عدت تفاسيرهم تفاسير لغوية متكاملة، كالبحر المحيط ومجمع البيان.

وحين نعود الى تفسير السيد محمد صادق الصدر قدس سره منة المنان وهو لم يتكامل لكونه ادركته المنية ولما يكمل الجزء الثلاثين منه، نجد ان الجانب اللغوي يطغى على منهجيته وطريقة التعامل النحوي مع آيات القران وهذا ما نجعل الدرس ملزما لمفسر القران الكريم ان يعود اولا الى اللغة والنحو في دراسة التفسير، فبدون اللغة لا يمكن لمفسر ان يسيطر على منهجه، ويدخل الى غوامض القران الكريم ولألئه، ويبدو كما ذكرنا في اعتماد اغلب المفسرين على المنهج اللغوي الا ما كان من بعض المفسرين الذين لم يعملوا بمنهج اللغة او اطرافها، ويعللون أكثرهم بأن الاعتماد اللغوي كان لأ سباب مهمة منها:

١) ان القران الكريم جاء باللغة العربية الفصحى، والذي تجعل كل مفسر لا ينطلق الا عن مضمون هذه اللغة نحوا وبلاغة وصرفا وعروضا وقراءات وغيرها، ولا يحيد عنها كما ينص القرآن الكريم ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[يوسف: ٢].

٢) ان اللغة العربية لم تكن متكاملة مالم يكن فيها المستويات المتنوعة من اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والفصاحة، وسلامة الالفاظ، والقراءات، فلذا يتحتم على المفسر أن يكون ملما باللغة العربية وعلومها؛ فلذا يذكر السيد الصدر في كتابه اني وضعت الكتاب والتفسير لمستويات معينة يقول: "اني لم اكتب هذا الكتاب لكل المستويات، ولا يستطيع الفرد المتدني الاستفادة

الحقيقية منه، وانما أخذت بنظر الاعتبار مستوى معينا من الثقافة والتفكير لدى القارئ" (الصدر، ٢٠١١، ص٣٣).

٣) يتبادر الى ذهن كل مفسر وباحث، بان التفسير لا يتكامل ابدا، مالم يكن ارتباطه مع العلوم اللغوية التي ذكرت، ويكون هذا الارتباط متكاملا في الذهن والفكر والمعرفة؛ لذا تجد السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره اعتمد ذلك في تفسيره اعتمادا كبيرا، ولا ينطلق بتفسيره الا بهذه البدايات وفي كل آية من آيات القرآن الكريم التي فسرها. لقد صنف كتاب منة المنان للإمام الصدر قدس سره، بانه مؤلف مهم ومنهج متكامل، لو كان الامر وقد تكاملت اجزاءه، فيكون طريقا جديدا في التفسير، ومنهجا لم يألفه السابقون، وهنا ارتبط الامام الصدر الثاني بمنهجية جديدة اعتمدها للتوضيح لطلابه في سرد المحاضرات بأسلوب فني ولغوي.

٤) مجموعة الإشكالات اذا لم تحل بين المفسرين، فان اللغة العربية هي الحل الأخير، مثلا اذا كان هناك اشكال في نقطة معينة من الآية، وهناك تساؤلات حول الراي الذي يقوله العلماء فتراه يبحث عن صحة هذا القول، ثم يأتي بآراء العلماء ليناقشها، فجاء بالإشكال، وورد رأي المفسرين، مثلا تجده يرد رأي السيد الطباطبائي، يقول السيد الصدر: "قال الطباطبائي ﴿**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ [الناس: ٦]. بيان للوسواس الخناس الميزان في تفسير القرآن" (الصدر، ٢٠١١، ص٩٨. وينظر: الطباطبائي، ١٩٩٧، ص٣٩٧).

٥) معرفة المعنى والقدرة على توضيح البيان وفهمه: وهنا تحتاج الالفاظ الى توضيح في المعنى والدلالة حتى يتم نزع الاشكال من خلاله الالفاظ فهنا المنهج اللغوي يأخذ دوره في استدراك الارتباط ومعرفة المضمون والتفريق بين المعاني المتشابهة. ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ال عمران: ٧]. وذكر العلماء والباحثون "بان مهمة اللغة هي التوصيل، والرسالة التي تحملها اللغة هي المعنى بكل صوره، ولما كان القران رسالة لغوية في المقام الاول، وقد جاء بلسان العرب مخاطبا اياهم بأساليبهم التي عرفوها، كان على علماء المسلمين ان يتبينوا ما تحمله هذه الرسالة" (خضير، ٢٠٠١، ص٥).

٦) في حال الاختلاف بين المفسرين فيعود المفسر الى اصول العربية للنظر فيها اذا كانت تلائم الاجابة المطروحة هنا او هناك فالعلامات دورها في صياغة المعنى كما ذكر علماء النحو ومنهم ابن فارس قوله: "من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الاعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو اصل الكلام ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر ولا نعت من تأكيد" (ابن فارس، ١٩٩٧، ص٧٦).

٧) الاهتمام بأسلوب البلاغة العربية، وهي في ذاتها تملأ الاسلوب القرآني بكنايات واستعارات، ومجازات وكل ذلك يحتاج الى علم البيان والمعاني والبديع "فمعرفة الفاظ القرآن وفهم معانيه، وادراك اغراضه، وابعاده، هو الهدف الذي يرمي اليه المفسر، ولا يمكنه ان يقف على شيء من ذلك، الا اذا كان على قدم راسخة في علوم اللغة، بصفة عامة وعلوم البلاغة بصفة خاصة" (عبد القادر، ١٩٩٨، ص٤،).

ويرون بان الاهتمام الكبير باللغة وفصاحتها وبلغتها في تركيب المفردة والجملة يقول الزركشي في برهانه: "والذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، والنظر في التفسير هو بحسب افراد الالفاظ وتركيبها، اما الافراد فهي تتعلق بعلوم اللغة، والتصريف، والاشتقاق، وأما التركيب فهو متعلق بعلوم النحو والمعاني والبيان والبديع" (الزركشي، ١٩٧٦، ص١٧٣).

٨) الرد على الطاعنين واصحاب الشبهات التي يصبونها على القرآن الكريم لذا على المفسر ان يتسلح بفهم اللغة والنصوص مدافعين عن سلمة النصوص والالفاظ. يقول السيد الصدر في مقدمته: "ويفترض أن يكون المنه هنا هو التعرض الى أي سؤال او مشكلة قد تخطر في الذهن، بغض النظر عن نوعيتها، بخلاف المصادر الاخرى التي حاولت الاختصاص ببعض الحقول كالجانب اللغوي او الجانب العقلي او غيرهما" (الصدر، ٢٠١١، ص٤٤).

٩) معرفة القراءات القرآنية، والتي لها الاثر على توضيح وفهم دلالة كل القراءات، والوصول الى المعنى المطلوب. فالسيد الشهيدﷺ يتحدث عن القراءات: "ان قراءات متعددة عند القراء، قد تكون القراءات السبع، او القراءات العشر، ورغم ان القراءة كما يذكر سيدنا؛ بانها قراءة حفص عن عاصم، غير انها ليست القراءة الوحيدة أو التي يمكن أن نعدها هي الوحي المنزل من السماء" (الصدر، ٢٠١١، ص٤٩). والمشكلة لديه، ويعتبرها نقطة الضعف ان القراءة لم تنسب الى صاحبها، وليس هناك الانتساب الحقيقي الى النبيﷺ، وقد يعبر عن نقطة القوة في تفسيره هي انها تعطي قوة المعنى، او معرفة السياق في الجملة فيقول: "غير ان تعدد القراءات قد تشكل نقطة قوة في بحثنا هذا؛ من حيث ان جملة منها تستلزم تغير المعنى، الامر الذي ينتج اختلاف السياق القرآني، أو حل مشكلة فعلية ناتجة عن قراءة أخرى او عن القراءة المشهورة" (الصدر، ٢٠١١، ص٤٤).

ثانيا: الخصائص اللغوية في تفسير منة المنان:

وتتضمن هذه الخصائص أهم القضايا الآتية:

١) الاسئلة والاجوبة:

يبدو من خلال القراءة والفهم الدقيق للتفاسير، نجد ان البعض سيقت والفت بطريق الفهم والتعليم على طريق المحاضرات، والاساليب التعليمية، كذلك نجد الامام الصدر وضع تفسيره على اسلوب المحاضرات، على مجاميع من طلابه، فنجد صيغة الاسلوب مختلفة عما تراها في التفاسير الاخرى، التي ذكرناه رغم وجود التقارب بين البعض منها، في قراءة التفسير، تجد هناك طريقة جديدة وبناء جديدا، لم يكن عند الاخرين سواء من القدماء والمحدثين، ولو ان لكل مفكر طريقته، ولكل عصر منهجه، يبدو ان الطبرسى في تفسيره، يختلف في كتابيه مجمع البيان وجوامع الجامع وان هناك اختلافا في التنضيد فالأول يبدو للعلماء في وقته، ولحد الان. والثاني منهجي للطلاب، وهو كتاب مختصر، واذا اتينا الى تفسير منة المنان، رغم انه تفسير لجزء واحد من القران الكريم، ولم يكمله، ولكن نجد فيه منهجية متكاملة، لأنه قد عرفنا طريقته، ومنهجه ولغته وفلسفته، فقد كان سيدنا واسع العبارة في قدرته على الكلام، والتضمين في ادائه، وكان صحيح الذهن، قادرا على تناول الفكرة من طرق شتى، قادرا على استلهام الكلمة في موضعها، وقت حاجته اليها.

اضافة الى انه مطلعا على الجوانب العلمية والادبية والفكرية، قبل ان يضع كلمته في محلها، تراه لم يبدا في توضيح القران الكريم في بداية تفسيره، وانما يعلم يقينا بقدسية القران، ومعرفته، والدنو الى عمق رسالته، كما يقول ﷺ في التفسير: "غير ان القرآن الكريم يحتوي على كثير من موارد الاجمال وصعوبة الفهم بلا اشكال، وقد يكون الفرد معذورا نسبيا في ما خطر في باله من السؤال، ومخلصا في البحث من الجواب، وقد لا يجد ضالته في التفاسير السائدة، او لا يجد نسخها بين يديه" (الصدر، ٢٠١١، ص٣٢).

فلو تتبعنا بعض التفاسير ودراستها اللغوية، نجد البون الشاسع بين هذه التفاسير وبين تفسير منة المنان، فهذا ابن عطية (ت٥٤١ هـ) في تفسيره للبسملة، يبدأ بالباء دون عرض لسؤال وجواب، ويكتفي برأي بعض النحاة من البصريين والكوفيين فيقول: "الباء في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتدائي مستقر او ثابت بسم الله، وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بسم الله في موضع رفع على مذهب البصريين، وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين، كذلك اطلق القوم والظاهر من مذهب سيبويه، ان الباء متعلقة باسم" (ابن عطية، ١٤٢٣هـ، ص٣٥-٣٦).

وفي تفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي (ت٥٤٨هـ) يشرح تفسيره وينظمه على اسس مختلفة عن غيره من المفسرين فيبدأ عند تفسير البسملة بفضلها، ولغتها، واعرابها، فيأتي بقوله في الاعراب: "بسم الله الباء حرف جر أصله الالصاق، والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية، ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها، فاذا قلت مررت بزيد. أوقفت الباء المرور على زيد، فالجالب للباء فعل محذوف نحو: ابدؤوا بسم الله، او قولوا بسم الله، فمحله نصب لأنه مفعول به، وانما حذف الفعل الناصب لان دلالة الحال أغنت عن ذكره" (الطبرسي، ٢٠٠٥، ص٢٣).

وذكر الطبرسي أقوالا أخرى لبعض النحاة، واللغويين، قوله: "وقيل: ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف، وتقديره ابتدائي بسم الله، فالباء على هذه متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه، أي ابتدائي ثابت باسم الله أو ثبت، ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير الى موضع الباء، وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار" (المصدر نفسه، ٢٠١١، ص٢٣).

والفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) اكتفى في تفسيره للباء في البسملة بقوله: "النوع الثاني من مباحث هذه الآية، ان الباء في قوله (بسم الله) باء الالصاق وهي متعلقة بفعل والتقدير باسم الله أشرع في اداء الطاعات" (الفخر الرازي، ١٩٨١، ص١٣).

أما القرطبي (ت٦٧١هـ) فاعتمد المسائل الخاصة بكل ما يترتب عليها مسألة؛ فيذكر البسملة: "وفيها ثمان وعشرون مسألة" (القرطبي، ١٩٦٤، ص١٥٢). وهناك خمس مسائل بين فيها اللغة وهي من المسألة التاسعة حتى المسألة الرابعة عشر، وركز موضوعه في أحد المسائل، فيقول: "اختلفوا أيضا في معنى دخول الباء عليه، هل دخلت على معنى الامر، والتقدير: أبدأ باسم الله؟ أو على معنى الخبر والتقدير ابتدأت بسم الله؟ قولان: الاول: للفراء، والثاني: للزجاج، فـ(بسم) موضع نصب على التأويلين، وقيل: المعنى ابتدائي بسم الله، وبسم الله في موضع رفع خبر الابتداء. وقيل: الخبر محذوف، أي ابتدائي مستقر، أو ثابت بسم الله، فاذا أظهرت كان باسم الله في موضع نصب بثابت، او مستقر. وقيل: التقدير ابتدائي بسم الله موجود، أو ثابت فـ(باسم) في موضع نصب من المصدر الذي هو ابتدائي" (المصدر نفسه، ٢٠١١، ص ١٥٣-١٥٤).

والالوسي (ت١٢٧٠هـ) على اختلاف مع من ذكرناه، بل ذكر في البحث عن الباء، وفي معناها بتعدد الحالات التي في معناها وحسب ما ترد في الآيات ومواقعها، "فالباء أما للاستعانة، أو المصاحبة، او الالصاق، او الاستعلاء، أو زائدة، او قسمية والاربعة الاخيرة ليست بشيء، وان استؤنس بعض لبعض الآيات واختلف في الارجح من الاولين " (الالوسي، ١٩٩٣، ص٤٧).

وكذلك ذكر أقوال المفسرين وانتهج منهجهم كالبيضاوي وقد رجح قوله، فيقول: "فالذي يشعر به كلام البيضاوي أرجحية الاول، وأيد بأن جعله للاستعانة يشعر بأنه له زيادة مدخل في الفعل". (الصدر، ٢٠١١، ص٤٧). أما ما يذكره الالوسي أيضا حول كلام الزمخشري الذي نقل عنه، قوله: " وكلام الزمخشري أيد ارجحية الثاني، وأيد بأن ياء المصاحبة أكثر في الاستعمال من ياء الاستعانة، لاسيما في المعاني وما يجري مجراها من الأفعال (المصدر نفسه، ٢٠١١، ص٤٧).

وبعد ذكر اقوال المفسرين يأتي برايه حول ترجيح أي منه هذه المعاني فيقول: "وعندي ان الاستعانة أولى بل يكاد أن تكون معينة أو فيها من الادب والاستكانة واظهار العبودية ما ليس في دعوى المصاحبة. (المصدر نفسه، ٢٠١١، ص٤٧).

ومن خلال هذه التفاسير التي ذكرناها، واطلعنا على منهجها في التفسير اللغوي، تجد هناك بعض التفصيل للمفسرين في تفسير الآيات في بعضها، ونجد الاختصار في البعض الاخر، كذلك نجد اعتماد اراء المفسرين والنحاة، او اللغويين فهذا ابن عطية اكتفى برأي نحاة البصرة ونحاة الكوفة دون تفصيل في لغة البسملة. وكذلك الطبرسي، خصص الاعراب معتمدا على آراء النحويين، وأختصر الفخر الرازي معنى الباء بالإلصاق، دون ذكر المعاني الاخرى، وفصل القرطبي في تفسيره مسائل متعددة ووضع مسائل خمس من مسائله الثمانية والعشرين، بخصوص باء البسملة. والالوسي اكثر تفصيلا، معتمدا على اراء المفسرين، الذين سبقوه ووضع لهذه معان متعددة، وقد رجح بعضها على البعض، ووضع رأيه ما بين معنيين.

بينما اذا أمعنا في تفسير منة المنان للشهيد الصدر قدس سره، النظر لوجدنا الطريقة الجديدة التي لم نرها عند المفسرين الذين سبقوه، فقد قسم كل موضوع من موضوعاته، او كل آية من الآيات التي يفسرها لغويا، او غيرها الى أسئلة وأجوبة، فكانت الصياغة للتفسير في كل آية هو عن طريق السؤال، والجواب فهو يقدم سؤالا، وينتظر الجواب احيانا بمشاركة طلابه، ويعتمد التجزئة في السؤال، ففي تفسيره لـ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة: ١]. تراه يضع سؤالا جزئيا ولكن من الاكثر في طريقة التفسير انه يسأل ويجيب، ففي مبحث البسملة الذي ابتدأ به تفسيره يذكر اولا مفردة سؤال، وسؤاله كما يقول: ما معنى الباء في البسملة ثم يضع جوابا لسؤاله، ويتبنى في هذا السؤال مجمل للاحتمالات، فوضع للجواب عدد من الوجوه، فجوابه يحتمل معناها وجوها، وهذه الوجوه تدخل في ابواب الاعتماد على النصوص القرآنية، او كلام

اللغويين، فمنها: السببية وهي العلية والتسبيب، والوجه الثاني: الالصاق، والوجه الثالث: الظرفية، والوجه الرابع: الاستعلاء (الصدر، ٢٠١١، ص٦٣).

ويكون من خلال السؤال والجواب الذي نظمه السيد الشهيد قدس سره، في أول طريقة تفسير أعدها لبناء منهجه التفسيري أقرب الى بحث الالوسي في تفسيره روح المعاني والذي يذكره في البحث الثالث في معناها ويضيف ستة مواضع للباء اعتمد السيد الصدر اربعة منها: الاستعانة، والمصاحبة، والالصاق، والاستعلاء، واضاف اليها الزائدة والقسمية) (الالوسي، ١٩٩٣، ص٤٧). وقد رجح الالوسي الباء للاستعانة وبقية المفسرين اعتمدوا ان الباء للإلصاق، وذكر ذلك القرطبي في مسألته الثالثة عشرة يقول: "بسم الله تكتب بغير الف استغني عنها بباء الالصاق في اللفظ والخط". (القرطبي، ٢٠٠٦، ص١٥٤).

رغم انه فبعد التوضيح اللغوي للباء، واعتماده على اللغويين في هذه الوجوه، ينقل ليشرح فكرته، التي هو يستند اليها حول هذه الوجوه الاربعة، فيقول: "وكل تلك المعاني ممكنة وصحيحة، وقد تكون كلها مرادة، ولا يتعين واحد منها، ولا يوجد ظهور في احدها، كما روي (ان للقران بطنا ولبطنه بطن). ونحو ذلك " (الصدر، ٢٠١١، ص٦٤).

وفي هذا الاسلوب قد يكون السؤال له جواب من قبل المفسر نفسه، غير ان هناك اشكالات في الاداء والاسئلة، بنفس الآية، فلذا يكرر سؤالا اخر او اشكالا اخر، فيجيب عليه بنفسه، كما نجده في معنى الباء في البسملة، وترد عددا من الاسئلة بعد السؤال الاول، وقد وصلت الاسئلة في موضوع البسملة الى عشرة اسئلة، بعضها يجيب بنفسه، ويضع جوابا مباشرا، فيبادر في سؤاله بالقول: "لماذا لم يستعمل غير الباء من حروف الجر؟ وجوابه لأنه لا يمكن لأي حرف غيرها، أن يقوم مقامها وأن يؤدي مؤداها " (الصدر، منة المنان، ٢٠١١، ص٦٤).

وبعضها يعتمد على اراء المفسرين ويعطي رأيه أخيرا، وحسب فهمه دون التدخل من قبل المفسرين، ويكرر الاسئلة وحسب المضمون الذي يفهمه، ويريد ايصاله الى الاخرين، وقد تصل الاسئلة الى عشرة او اكثر وفي البسملة وردت عشرة اسئلة متنوعة، منها انه يجيب بحسب اراء المفسرين، فتراه في احد اسئلته يقول: "لماذا تكررت مادة الرحمة في البسملة مرتين؟ " (الصدر، ٢٠١١، ص٧٥). فيكون جوابه معتمدا على اراء المفسرين واللغويين، وهذا القول عند أغلب المفسرين فيقول: "قال في الميزان: الرحمن فعلان، صيغة مبالغة تدل على الكثرة، والرحيم فعيل، صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء، ولذلك ناسب الرحمن ان يدل على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر، وهو الرحمة العامة ولذلك أيضا ناسب الرحيم أن يدل على النعمة الدائمة، والرحمة الثابتة الباقية، التي تفاض على المؤمن" (المصدر نفسه، ٢٠١١، ص٧٥).

٢) الجوانب اللغوية والنحوية واختيار الالفاظ والذوق الادبي:

اولا: جانب المستوى اللغوي:

من الامور المهمة التي تظهر في تفسير منة المنان صورة العالم الضليع والمتبحر في اللغة العربية، وهذا ما قلنا سابقا، بان العالم لا يستطيع العمل بالتفسير، مالم يكن قادرا ومتبحرا في اللغة بكل اقسامها، فهو في اول وهلة وبداية كل سطر تكون اللغة بجنبه، اولا ويبدا تفسيره باللغة واقسامها، فتجد الصورة في وصف القرآن الكريم معتمدا على أدب العرب، متخللا أبيات تجري مجرى المثل في وصف القرآن الكريم، فوصف الكتاب الكريم متمثلا بقول الخنساء شاعرة العرب، والتي قارن فيها عظمة القرآن الكريم، وهذه الصورة الادبية تقول الخنساء في مرثية أخيها صخر: (الصدر، ٢٠١١، ص٣١. وينظر: طماس، ١٩٨٥، ديوان الخنساء: ٣٥).

وانَ صخراَ لتأتمَّ الهداة به كأنَهُ علمٌ في راسِهِ نارُ

او كما قال المتنبي: (الصدر، ٢٠١١، ص٣٢. وينظر: ديوان المتنبي: ٢٠٠٤)

واذا استطالَ الشيءُ قامَ بنفسِهِ ومديحُ ضوءِ الشمسِ يذهبُ باطلا

في الجانب اللغوي كتب السيد الشهيد الصدرﷺ في تفسير معنى العقد والنفث وكتب خمس اطروحات اكد فيها هذا الاسلوب اللغوي بقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾[الفلق: ٤]. يقول: من هنا يمكن أن نعرض عدة اطروحات في معنى العقد والنفث منها: فقال في الاطروحة الاولى بانها خصائص تكون في ذات الانسان لا يمكن الخروج عن هيئته ابدا وهي ملازمة له والنفث هو الاثر في ديمومة هذا العقد واستمراره. فيقول: "العقد هي ملكات السوء التي في الانسان؛ باعتبار ان الملكة هي الصفة الراسخة غير القابلة للانفكاك، فتشبه العقدة. والنفث هو التسبب الى بقائها وزيادتها، كالنفخ في النار لأجل زيادتها"(الصدر، منة المنان، ج١، ص١٢٠).

وفي الاطروحة الثانية يعتبر السيد الشهيدﷺ بان العقد هو يربط كل وسائل الخير والنفث هو وسيلة لإضعافها فيقول "أن تكون العقد ملكات الخير للإنسان، والنفث فيها هو التسبب لإضعافها وازالتها". (المصدر نفسه، ج١، ص١٢٠). وفي الاطروحة الثالثة يعني العمل الصالح بما يتضمن الطاعة لله تعالى والنفث محاولات الافساد لهذه الطاعة باعتماد المحرمات. فيقول: في الاطروحة الثالثة: "العقد هو السلوك الصالح للإنسان، وهو الاعتياد على طاعة الله سبحانه، والنفث فيه هو محاولة افساد ذلك وتبديله" (المصدر نفسه، ج١، ص١٢٠). وفي الاطروحة الرابعة: يرى العقد هو السلوك غير الصحيح للفرد وحاله السيء في الحياة الدنيا وحياة الاخرة، والنفث زيادة هذه الصفة. فيقول السيد الصدرﷺ: "العقد هو السلوك الطالح للإنسان او الحال السيء له دنيويا وآخرويا، والنفث فيه هو معاونته ومحاولة زيادته". (الصدر، منة المنان، ج١، ص١٢١). وفي الاطروحة الخامسة يرى كل ما يتضمن من عقد وارتباط بين اثنين او شريكين او ثلاثة والنفث هو الوسيلة في ازالتها. فيقول:

"العقد هو عقد الصداقة والعهود بين الاشخاص والمجتمعات، والنفث هو التسبب الى ازالته، وقد لا يكون في زواله مصلحة، كما هو الغالب" (الصدر، ج١، ص١٢١).

ثانيا/ جانب المستوى النحوي في تفسير منة المنان:

يرى كثير من الباحثين "القران هو الاصل الاول من اصول النحو والدليل المتواتر الذي يفيد العلم اليقيني من ادلته والعربية وعاؤه وهو كتابها الاكبر وحارسها الخالد ومادها بأسباب الحياة" (رفيده، ص١٠) وكذا المفسر الشهيد قدس سره في تفسيره منة المنان يؤكد في أجزاءه الخمس على الجانب النحوي والآراء النحوية عند النحاة والمفسرين ويعتبرها اسنادا لتفسيره، فهو يعتمد على آراء النحويين والمفسرين ويقوم بالتدقيق في الرأي وقد يؤيدها أو يرفضها.

فهنا مثلا يعتمد آراء العكبري، فيقول السيد الشهيد في تفسيره متخذا رأيه ا في قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾[الناس: ٦]. قيل: هو بدل من شر، أي من شر الجنة. (الصدر، منة المنان، ج١، ص ١٠). وينظر: العكبري، املاء ما من به الرحمن، ج٢، ص٢٩٨). فقال السيد الشهيد الصدر قدس سره: "أقول: أعتبره بدلا، لكون الواو عاطفة غير موجودة، فلم يعتبره معطوفا. وقوله (قيل) أي انه قابل للمناقشة؛ وذلك لان البدل لفظ انفرادي، واما كون الجار والمجرور بدلا فهو على خلاف القاعدة"(الصدر، ج١، ص١٠١).

ورد السيد الصدر قدس سره على قول العكبري:

وهنا تجد القرطبي حكم على رأي واحد دون ان يعدد الاحتمالات فقال: "فعلى هذا يكون (والناس) عطفا على الجنة، ويكون التكرير لاختلاف اللفظين" (القرطبي، ج٢٠، ص٢٦٢). "وقيل: بدل من ذي الوسواس؛ لان الموسوس من الجنة. فقال السيد الشهيد قدس سره: أقول هنا عنوان البدلية غير وارود؛ لأنه جار ومجرور كما ذكرنا، ويمكن أن يكون صفة أوحالا أو معطوفا بحذف حرف العطف". وقيل: هو حال من

الضمير في يوسوس، اي يوسوس وهو من الجن. أقول: أي حال كونه من الجنة والناس. وقال: وقيل بدل من الناس، اي في صدور الجنة. وقيل: من الجنة حال من الناس. أقول: يكون المعنى انه يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس: اما بمعنى كون الناس موصوفين بكونهم من الجنة والناس، واما انه بدل من الجنة والناس، او حال كونهم من الجنة والناس فذلك كله محتمل (الصدر، ج١، ص١٠٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[الفجر: ٢] يقول:

وتكلم السيد الشهيد في تفسيره عن حذف الياء المقصورة في لفظة ليالي وحذف الياء في حال التنوين فقال: "لمجرد التوضيح: لماذا حذفت الياء بعد أن تأخذ بنظر الاعتبار انها حقيقة نكرة، والجواب عنه بوجوه:

الاول: انها ياء أصلية، وليست للنسبة ولا ضمير للمتكلم.

الثاني: انها مجرورة.

الثالث: انها موصوفة. ونظيرها أمالي وأعالي ولئالي، ويلحقها الياء عند الجمع، وليس المفرد (الصدر، ج٣، ص٢٢٧).

ويتحدث السيد المفسر ﷺ عن أثر الجملة الفعلية على سياق الفعل وأثره في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر: ٤] بالمضارع اعطاء صورة متحركة، ولو كان في الماضي لكانت ثابتة، فليس المراد خروج الليل تماما (الصدر، ج٣، ص٢٣٥).

قال العكبري: (والوتر) بالفتح والكسر لغتان. واذا ظرف والعامل فيه محذوف، أي أقسم به اذا يسر، وقلنا في مثله انه قيد للمقسوم به لا للقسم (المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٥).

وفي قوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[الفجر: ٧] جل ذلك فهي في محل جر، أما سبب ذلك فأمران:

الاول: انها بدل من عاد، كأنه قال: اريد من عاد ارم، ليس عاد نفسها، لانهال انها الجزء المهم منها، فالمراد الاساس (كيف فعل ربك بارم)، ولايحتمل أن تكون مترادفة وانما هي جزء منها.

الثاني: انها مجرورة بحرف جر مقدر يعني بعاد وبأرم، وقد يميل مشهور النحويين في مثله إلى تقدير حرف العطف يعني بعاد وبأرم. هذا وينبغي أن يكون لعاد أيضا ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة الا ان المشهور يعتبر عربيا. (الصدر، ج٣، ص٣٤٩).

ثالثا/ جانب مستوى الصورة اللفظية والذوق الادبي:

نجد صورة العالم اللغوي الذي كتب في التفسير منطلقا بالأهمية اللغوية في تفسير الآية الكريمة وتوضيح المعنى العام لها، فهو يعرض الالفاظ القرآنية المراد تفسيرها كما كان المفسرون يعرضون ذلك في المعاني والمنطق، وهذا يضع الاهتمام باللغة العربية التي كان يعرضها العرب بلغتهم، فهو يعتمد على المفسرين في التوضيح اللغوي واعطاء الراي في كون التفسير اقرب الى الواقع:

١) العرض القرآني كما يعرضه المفسرون وبلغة القرآن فتراه يقول في قوله تعالى: ﴿**وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ**﴾[البلد: ٢]. وهذا العرض يمثل صورة المعنى المتعدد للمفردة القرآنية والذي يمثل صورة الذوق الادبي للمنهج الذي يعتمده القرآن الكريمويذكر السيد الصدر قدس سره قول الراغب الاصفهاني: "أصل الحل حل العقدة، ومنه قوله عز وجل: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**﴾[طه: ٢٧] حللت نزلت، اصله من حل الاحمال عند النزول ثم مرد استعماله للنزول، فقيل: حل حلولا، وأحله غيره، قال تعالى: ﴿**أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ**﴾[الرعد: ٣١]، ﴿**وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾[ابراهيم: ٢٨]. ويقال: حل الدين وجب اداؤه. والحلة القوم النازلون، ورجل حلال ومحل اذا خرج من الاحرام او خرج من الحرم، قال عز وجل: ﴿**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**﴾[المائدة: ٢]، وقال تعالى:

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾[البلد: ٢] أي حلال" (الصدر، ٢٠١١، ص١٨٧. وينظر: الراغب الاصفهاني، ٢٠٠٩، ص٢٥١).

ويرى السيد الشهيد بان هناك اطروحات مختلفة تفهمن مفردة الحل وهذه الاطروحات كما يرى قدس سره:

الاولى: المعنى يكون على معنى حل من حل كونه اسم فاعل كما يذكر في الميزان.

الثاني: ما ذكره الراغب انفا من التحلل من الاحرام يعني غير محرم، وهو عجيب.

الثالث: انه مصدر حل اذا نزل ووصف به الذات مجازا كما قيل زيد عدل.

الرابعة: اصله من الحلة، اي القوم النازلون، وهذا بمنزلة الجمع، ومفرده حل.

الخامسة: ما نقله في الميزان من ان المستحل الذي لا حرمة له يعني يستحل حرمة النبي فيه (الصدر، ٢٠١٢، ص١٨٧-١٨٨).

ويبدو ان السيد الشهيد وضع في هذه الكلمة وهي الحل مجمل الاطروحات الخمس وقد اقتنع بها جمعا غير الفقرة الثانية في قول الراغب الأصفهاني انه من التحلل من الاحرام حيث يقول وهو عجيب وهنا في كلمته اثار اهمية لهذا الرأي لتعجبه به. وكل ما نفهمه انه لم يعط الرأي في أحد الاطروحات سوى انه قد تأثر بقول الراغب الأصفهاني والدلالة على صحة قوله.

٢) التنبيه إلى الجانب الحسي في التفسير:

يتبادر إلى الذهن بأن الكلمة أو المفردة لها معان مختلفة في التفسير والتوضيح وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[الانشقاق: ١٨]، يقول السيد الصدر قدس سره: قال السيد الطباطبائي: في الميزان: والقمر اذا اتسق اي اجتمع وانضم بعض نوره إلى بعض، فاكتمل نوره وتبدر (الطباطبائي، ٢٠١٢، ص٢٤٥- ٢٤٦).

يقول السيد الصدر معقبا على التفسير المذكور باتجاه الحس نحو ضوء القمر لا الاتجاه نحو كتلة القمر بنفسه، فالمعني هنا بالضوء واحساسه لا القمر وكتلته: "وعندئذ نحتاج إلى تقدير لأجل فهم الآية على كل وجوهها، وهو ان المراد اتساق نور القمر لا القمر، فالقمر ككرة من قبيل كرة الارض". (الصدر، ج٢، ص١٥٥).

ويؤكد في هذا الجواب بقوله "فان الملحوظ في القمر هو النور، وليس الكرة الجامدة فأصبح النور هو القمر، والقمر هو النور، فالقمر متضمن في معنى القمر، كما ان أهل القرية متضمن في القرية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا**﴾[يوسف: ٨٢].

ثم يجد الغرابة في قول السيد الطباطبائي (وتبدَّر)، حين يفسره في القول باعتبار ان البدر اشتقاق من بدر في قوله أي: اصبح بدرا. ويقو: "(وتبدَّر) اشتقاق غريب في الحقيقة من البدر، أي أصبح بدرا، لكنه يحتاج إلى فهم لغوي في جواز الاشتقاق من البدل، فهل البدر مشتق؟ ". (الصدر، ٢٠١٢، ص١٥٦).

ويظهر من خلال التفسير، تقارب السيد الطباطبائي في تفسيره لتفسير الكشاف؛ حيث ذكر الزمخشري في تفسير الآية: "(اذا اتسق) اذا اجتمع واستوى ليلة اربعة عشر". (الزمخشري، ٢٠٠٩، ص١١٩١) وبنفس المعنى يرى الشيخ الطبرسي في تفسيره للآية الكريمة: "والقمر اذا اتسق اي: اذا استوى واجتمع وتكامل وتم قال الفراء: اتساقه: امتلاؤه واجتماعه واستواءه، لثلاث عشرة إلى ست عشرة " (الطبرسي، ١٣٧٦هـ. ش، ص٧٠٠).

وفي الراي الذي اتخذه السيد الصدر في كلامه حول مفردة البدر فلا يعتبر باب الاشتقاق فيها واضحا لان الاشتقاق ليس سماعيا، فيقول: "انه جامد، فتبدر يتبدر تبدرا غير موجود، لكنه مع ذلك باعتباري من اهل اللغة فلا بأس أن نشتق مما هو ليس بسماعي". (الصدر، ٢٠١٢، ص١٥٦). وقد ذكر الراغب في مفرداته: كون البدر في حالة الاشتقاق وكلمة بدر لها مضمون وارد، فقال: "كان من فلان بوادر في هذا الامر،

والبدر قيل سمي بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع، وقيل: لاستلامه تشبيها بالبدرة، فعلى ما قيل يكون مصدرا في معنى الفاعل" (الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٩، ص١١٠).

٣) والسيد الصدر في تفسيره ذو احساس لغوي؛ باعتباره باحث في اللغة العربية، ودقيق في التمعن في الالفاظ، حتى وان اختارها من علماء اللغة أو من علما التفسير، فيقول في تفسير الآية: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[البروج: ٨]. "واما مادة (نقم) فقد قال الراغب: نقمت الشيء ونقمته اذا نكرته: اما باللسان، واما بالعقوبة. قال تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ**﴾[التوبة: ٧٤]. والنقمة العقوبة: قال: ﴿**فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ**﴾[الاعراف: ١٣٦]" (الصدر، ٢٠١٢، ص٢٧٤).

وهنا يعرج السيد الصدر قدس سره في راي الراغب الأصفهاني؛ ليوضح الدليل اللغوي في هذا الفعل، فيبدي ملاحظته على تفسير الراغب بالتوهم الفاسد في مفردة معينة، فيقول: "ويلاحظ ان الراغب الأصفهاني كغيره من أهل اللغة يخلط بين الفعل الثلاثي والرباعي وبين الثلاثي المزيد وكأن المراد في كلامه أن نقم وانتقم معنى واحد، وهو توهم فاسد والظاهر ان الرباعي اي المزيد موضوع بوضع ثان لمعنى آخر قريب او مماثل لوضع الثلاثي، لا أنه عينه، كما ان الهيئة فيه مختلفة، مع ان الصحيح عندنا اطلاق الرباعي عليه لا المزيد. (المصدر السابق، ٢٠١، ص٢٧٤).

وذكر الزمخشري في الكشاف مفردة واحدة في هذه الآية لتفسيرها وبمعنى واحد باختلاف عن السيد الشهيد في تفسيره حيث ذكر معان متعددة، ووطن معرفته لرأي واحد هو أقرب للتفسير العام. فذكر الزمخشري "وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما نكروا الا الايمان، قال ابن الرقيات: (الزمخشري، ٢٠٠٩، ص١١٩٢)

وما نقموا من ابن أبيه الا انهم يحلمون ان غضبوا

وفسر الطبرسي: "وما نقموا: أي ما كرهوا منهم الا انهم آمنوا، عن ابن عباس. وقيل ما أنكروا عليهم دينا وما عابوا منهم شيئا الا ايمانهم كقوله: ﴿**هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾[المائدة: ٧٩].

عن الزجاج ومقاتل وقال الجبائي: ما فعلوا ذلك بهم العذاب الا بإيمانهم"(الطبرسي، ٢٠٠٥، ص٧١٠). وهنا كذلك اختلف السيد الصدر في تفسيره لهذه المفردة عن الطبرسي، صحيح انه نقل المفردات ولكن وضع للكلمة التي تناسب التفسير قوله لتكون ملائمة، بينما الشيخ الطبرسي وكذلك الزمخشري نقل المعاني دون أن يضع لها رأي في المعنى المناسب.

٤) التفريق بين المفردات الجزئية والكلية اي التفريق بين المترادفات تفرقة معنوية:

يقول السيد الشهيد قدس سره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ* وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾[الفجر: ٢٥-٢٦]. هنا يعالج السيد الشهيد المعني من طريقين، ويفرق بين طريق وآخر لغرض معرفة المفردة في الآية المباركة ليكون مقدرا للكلام بـ(مثل) فيقول: "لو أخذنا العذاب والوثاق بمعنى جزئي خارجي كما فهمه العكبري اضطررنا إلى تقدير (مثل عذابي) أو من الواضح ان عذابي أنا وكلامي لا يصدران من غيري، فلو قال أحد انه لا يتكلم كلامي أحد فلا معنى لهذا الكلام؛ لأنه من توضيح الواضحات، وهو قبيح؛ لان كلامه لا يتكلمه أحد فلابد أن يريد الا يتكلم مثل كلامي أحد اذا قصدنا الجزئي" (الصدر،، ٢٠١٢، ص٣٤٨).

أما اذا نظر إلى النظرة الكلية فيرى لا حاجة إلى اعتماد وتقدير مثل لان التقدير في الكلام مادام ينظر لهذه النظر فيكون من الله او من شيء آخر فيقول السيد في تفسيره: "اما اذا قصدنا الكلي فتقدير (مثل) يسقط عن الاعتبار، لان قوله (عذابه) مادام كليا يمكن أن يصدر من الله كما يمكن أن يصدر من خالد وغيره فلا نحتاج إلى تقدير (مثل) (الصدر، ٢٠١٢، ص٢٤١).

والعكبري (ت٦١٦هـ) يقرر في تفسيره للمفردتين بقوله: "العذاب والوثاق اسمان للتعذيب والايثاق" (العكبري، ١٩٧٩، ص٢٨٧). اما الزمخشري يرى: لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للإنسان، اي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه" (الزمخشري، ٢٠٠٩، ص١٢٠٢).

ومن هاتين المفردتين يقرر السيد الشهيد الصدر في تفسير ذلك من الناحية اللغوية والتفريق بينهما بقوله: "فالتعذيب والايثاق هما اللذان قلنا عنهما: انهما يصلحان ان يكونا مصدرا او اسم مصدر واما العذاب والوثاق فليست بمصادر لا نستطيع ان نسميهما حينئذ اسماء مصادر؛ لان اسم المصدر يتعين ان يكون بلفظ المصدر، فاذا لم يكن هذا لفظا للمصدر، فليس اسم مصدر وانما اسم ذات"(الصدر، ٢٠١٢، ص٢٤١).

«المبحث الثالث»

أثر اللغة والنحو في تفسير منة المنان

السيد الصدر قدس سره في اتجاهه النحوي كونه متمرسا في اللغة العربية واصطلاحاتها، تراه يعرض وجهات النظر الأعرابية التي يذكرها علماء اللغة، والتفسير والنحو ولكن نراه لا يعتبر صاحب صناعة نحوية جديدة، وانما اراد من النحو ان يعرف الناس كيف يفهم القرآن الكريم وكيف يضع تفسيرا بعيدا عن الشبهات، فهو يعرب ويدرك ما أثر الاعراب في التفسير.

اولا/ اعتماد النحو في تفسير القرآن الكريم:

في الاطلاع على الاجزاء الخمسة في التفسير، نجد انه لا تخلو اية في تفسيرها عن انطلاقة النحو، وبداية التفسير اللغوي والنحوي وهذا ما نجده في كل التفسير للجزء الثلاثين، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ* عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلعَظِيمِ**﴾ [النبأ: ١-٢].

ففي التوجيه النحوي في التفسير بين السيد الشهيد قدس سره ان حالات الاستفهام يراد بها السؤال، وهنا استخدم القرآن الكريم (م) الاستفهامية، وقد سبقت بحرف الجر (عن) فادغمت عن وما وحذفت الالف للتخفيف فتقرأ (عم) "(عم) فهما حرفان: عن الجارة، وما الاستفهامية، ومعناها عن أي شيء يتساءلون؟ و(ما) محذوفة الالف، نعم الحذف على نحو الجواز واللزوم، الا انه جائز؛ اذا دخل على (ما) حرف جر كما في (لم، مم وعلى م، إلى م)".)الصدر، ٢٠١٢، ص٤٣٤).

وقد مزج الاتجاه اللغوي والنحوي في تفسيره في أغلب اطروحاته، وهذا المزج ورد نتيجة بين التقارب بين المنهجين، وهذا ما نجده عند أغلب المفسرين رغم انهم ميزوا بين الاعراب واللغة في اضفاء الفقرات فهذا الشيخ الطبرسي أعتمد في تفسير القرآن في مجمعه متخذا التسمية للسورة وعدد أيها واختلافها وفضلها وتفسيرها وقراءتها والحجة واللغة والاعراب والمعنى. (الطبرسي، ٢٠١٢، ص١٨٢). فذكر في مفردة وهو يجمع أقوال النحاة واللغويين فقال: يتساءلون "أي جعلوا يتساءلون بينهم أي: يسأل بعضهم بعضا، على طريق الانكار والتعجب فيقولون ماذا جاء به محمد؟ وما الذي أتى به فأنزل الله تعالى: عم يتساءلون، قال الزجاج: اللفظ لفظ استفهام، والمراد تفخيم القصة؟ " (المصدر السابق، ٢٠١٢، ص١٨٣).

أما السيد محمد الصدر قدس سره فقد دخل في عمق الآية اللغوي والنحوي؛ كي يدخل إلى غور الآية، معتمدا على نصوص المفسرين، ونقلهم مع الشرح مفصلا لكل قول قد يتخذ من القول، او يرفضه أحيانا. ومفردة يتساءلون دلالتها من الفعل المزيد او الرباعي الذي يدل على التفاعل بين حالتين متعددتين، أي يجب العمل بين اثنين. فقال: (يتساءلون) " مادته التساؤل الذي هو مزيد أو رباعي، والتساؤل تفاعل وهو العمل المتبادل بين متعددين كالتضارب والتقاتل، يعني يسأل القوم بعضهم بعضا ". (الصدر، ٢٠١٢، ص٤٣٤).

وأضاف الشيخ القرطبي (ت ٦٥٦هـ) بوجود الاستفهام ليبين الفرق عنه وعن الخبر، ودرسها من جانب الصوت اللغوي مضيفا لها الاعراب فيقول: "عم لفظ استفهام، ولذلك سقطت منه الف (ما) ليتميز الخبر عن الاستفهام. وكذلك (فيم) و(مم) اذا استفهمت. والمعنى عن أي شيء يسأل بعضهم بعضا. وقال الزجاج: أصل (عم) عن (ما) فأدغمت النون في الميم، لانها تشاركها في الغنة. والضمير في يتساءلون لقريش" (القرطبي،، ١٩٨٥، ص١٦٩).

ويثير سيدنا المفسر ﷺ تساؤلا، ويعلل هذا التساؤل بسببين هما لتعظيم السؤال او لتعظيم المسؤول عنه لما تبدو ان هناك شيء في النفس يريدون معرفته، او لما يتبادر من الشك في هذا التساؤل وجوابه يقول في تلويحه للتساؤل " لماذا عبر القرآن بـ(تساءلون) ولم يقل (يسألون)؟ بهذه الصيغة لكثرة السؤال، اي انهم يكثرون السؤال، أما لعظمة السؤال نفسه، أو لعظمة المسؤول عنه، وهو النبأ العظيم. اما عظمة السؤال نفسه، أي الحاجة في نفوسهم، فلكثرة شكهم به، فأنه ليس سؤالا طارئا سطحيا، ولو كان مجرد سؤال لقال يسألون " (الصدر، ٢٠١٢، ص٤٣٥).

والجانب النحوي له الدور الكبير في دراسة وتفسير الكثير من المبهمات في القرآن الكريم لذا ركز الامام الصدر على المتعلقات والقرائن ليفسر الآيات بوجود هذه المتعلقات والدلائل وباعتبار الجار والمجرور في (عم) ضمن المتعلق بالفعل يتساءلون، فيقول: "ثم ان الجار والمجرور في عم متعلقا بالفعل الذي كلاهما، وكان من حقه التأخر، والمتسائلون هم غير أهل الحق، فـ (واو الجماعة) في يتساءلون ليس لها مرجع لفظي، وانما مرجع في الفهم إلى قرينة حالية اجتماعية في ذلك الحين؛ لانهم كثيرا ما كانوا يسألون النبي ﷺ اعني غير أهل الحق، بدليل قوله ﴿**الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾[النبأ: ٣]، مشككون فبعضهم يثبت وبعضهم ينفي" (الصدر، ٢٠١٢، ص٤٣٥).

ثانيا/ التنسيق في الاطار اللغوي النحوي ضمن الآية الكريمة:

يظهر من خلال التفسير بان هناك طريق اخرى يتسم بها التفسير عن غيره، وبالأحرى يتسم بها المفسر في تفسيره، وهي طريقة التنسيق النحوي في تفسيره، وهذا التنسيق يجعل بأن هناك ترابط في المذهب الفكري لديه، والترابط يجعل بان هناك تناسق بين فكرة نحوية ومضمون الآية الكريمة: ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ**﴾[التكوير: ١٤]

ومن هذا التناسق: يقول السيد الصدر قدس سره في البحث في الآيتين الشريفتين: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير: ١٧-١٨]. وقد استدرك الجواب ووضعه في مجموعة من الآراء وقد خصها بوجوه اثناء التفسير:

الاول: اذا ظرفية بمعنى حين: فلذا لا تحتاج إلى جواب الشرط وهذه حقيقة ان الظرفية لا تحتاج جواب شرط تكون شرطية، فيقول السيد الصدر: "أن تقول ان (اذا): هنا ظرفية لا أداة شرط، فلا تحتاج حينئذ إلى جواب شرط فيكون المعنى: الليل حين تنفس والنهار حين عسعس". (الصدر، ٢٠١٢، منة المنان، ص٧٥).

الثاني: جواب الشرط والقسم معا، وهنا يذكر قوله: "أن يكون جواب الشرط قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[التكوير: ١٩] جواب القسم لا جواب الشرط. ويمكن الجواب بأنه جواب للقسم والشرط معا، وبعبارة اخرى وان سلمنا انه جوابا للقسم الا انه يمكن ان نفهم منه بحسب المعنى كونه جوابا للشرط" (الصدر، ٢٠١٢، منة المنان، ص٧٥).

الثالث: ادراك جواب الشرط من فعل الشرط تقديرا، فيقول: "أن يعرف جواب الشرط من فعل الشرط، ان يكون بلفظ ويسد مسده فيكون المعنى: عسعس الليل عسعس وتنفس الصبح تنفس" (المصدر السابق، ٢٠١٢، ص٧٥).

علمت نفس ما احضرت واقعة في جواب الشرط للآيات المتقدمة اعني قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾

[التكوير: ١-٣].

وقد ظهرت فكرة السيد الصدر وتساؤله، حول كون اداة الشرط في كون جوابها متعددا او واحدا، وبهذا يقول في سؤاله: "مفاده اذا كانت أداة الشرط (اذا) متعددة، فهل يكفي في جواب الشرط أن يكون واحدا وكذا الكلام في فعل الشرط؟ " (الصدر،

٢٠١٢، ص٥٣). ويضع لهذا السؤال عدة اجوبة كما هو معتاد في اجابته لكل سؤال يطرحه.

وأجاب بكفاية شرط واحد وان تعددت ويقدر أجوبة شرط أخرى بدلالة ما كان في أول العبارة، أو كان بافتراضه بأن الأدوات المكررة ليست بأدوات الشرط والحكم المؤثر اعرابيا هو الاول وليس الادوات الاخرى ويكون هذا الجانب أولى رغم تقارب الحكمين يقول سيدنا الصدر قدس سره: "ولهذا السؤال في الحقيقة أكثر من جواب: أن تقول نعم، يكفي الجواب الشرط واحد لكن بتقدير أجوبة شرط اخرى مقدرة يدل عليها الموجود. وكذلك اننا اذا قلنا كأطروحة ان الادوات المتأخرة ليست أدوات شرط، واداة الشرط هي(اذا) الاولى، وما عداها كلها زائدة") الصدر، ٢٠١٢، ص٥٣).

ثالثا/ الامام الصدر قدس سره يعتمد النحو في الدخول الى عمق التفسير للقرآن الكريم:

وكذلك من الخصائص التي ظهرت في التفسير، اظهار المعاني القرآنية بوضوح والرد على الآراء التي لم تكن مناسبة، او غير صحيحة، او يظهر فيها اللبس والغموض، وكذلك النسق الذي يضفيه السيد الصدر قدس سره في تنظيم التفسير في نواحيه المختلفة وحينما يعرض لحكم اعرابي يراد به التوجيه والنسق القرآني، فهنا اعتمد التنكير في مفردة النفس في القرآن الكريم، وورد التساؤل عند السيد الصدر بوجود نفس بدول (ال التعريف) والذي سماها المحلاة بـ(الـ).

١) النحو الذي يعتمده السيد الصدر يعتبر خادم لاستخراج المعاني وهو بحد ذاته خادم للمعنى، وهذا رأي النحويين في الاعتبار بكون الاعراب وسيلة من وسائل اظهار المعاني يقول ابن جني (ت) "ان الاعراب هو الابانة عن المعاني بالألفاظ، لكنه لا يحمل الاعراب كل مسؤولية الابانة، بل يشرك معه شيئين آخرين، أحدهما: الرتبة، والآخر القرائن اللفظية والمعنوية". (ابن جني، ١٩٥٢، ص٣٥).

يقول السيد الصدر قدس سره متسائلا عن تنكير نفس ولم يذكر تعريفها في القرآن الكريم: "لماذا عبر بالنكرة ولم يعرف النفس بالألف واللام أو بالإضافة؟ وهذا التساؤل ورد عند علماء التفسير مثل الالوسي بقوله: " وتنكير (نفس) المفيد لثبوت العلم لفرد من النفوس، او لبعض منها للإيذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح، بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة قطعا يعرفه كل احد". (الالوسي، ١٩٩٣، ص٥٧). ويقول صاحب الميزان في الآية: "علمت نفس ما احضرت جواب اذا والمراد بالنفس الجنس والمراد بما احضرت عملها الذي عملته" (الطباطبائي، ١٩٩٧، ص٢١٦).

وتفسير السيد الصدر قدس سره في جوابه مقارب لتفسير السيد الطباطبائي قدس سره مع اختلاف عن تفسير الالوسي روح المعاني: ان الظاهر والله أعلم انه لو عبر بالمعرفة المحلاة بالألف واللام لكان الاقرب إلى الفهم العهد لا الجنس. فاذا قال علمت النفس ما أحضرت انصرف إلى النفس المعهودة مع ان هذا ليس متصورا، بل المراد هو الجنس، الا ان يكون المدخول جمعا فيقول: علمت النفوس ما أحضرت، أي يكون نصا في الاستيعاب كما يعبر في اللغة الاصولية الا ان السياق القرآني يجعل بذلك" (الصدر، ٢٠١٢، ص ٥٥).

وهنا يضع السيد الصدر طريقة من طرق معرفة المعنى؛ لذا كان اهتمامه في النحو لإكمال مهمة التفسير للقرآن الكريم، باعتبار الاهمية في التحليل وحصول المعاني.

٢) يعتمد الحكم الاعرابي في اظهار المعنى المناسب:

ففي قوله تعالى: ﴿**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾[الطارق: ٣]. واغلب المفسرين يرون ان بواسطة الحكم الاعرابي يظهر المعنى الذي يناسب القول ويفسر الشهيد الصدر قدس سره قول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان ﴿**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾ بيان للطارق والجملة في معنى جواب استفهام مقدر كأنه لما قيل: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ**﴾ سئل فقيل: فما هو الطارق؟ فأجيب وقيل: ﴿**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾.

فيقول السيد الصدر قدس سره: "أقول: ويتضح المعنى من الاعراب، فلابد من فهم اعراب لفظ النجم هنا. وفيه عدة اطروحات". يقول: "اشهرها الاطروحة الاولى: انه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو" (الصدر، ٢٠١٢، ص١٢٤).

الاستنتاج

نستخلص بوساطة البحث بعض الامور المهمة في معرفة التفسير باتجاه اللغة:

١) بوساطة البحث وجدنا انه يفسر القران الكريم كبداية تجديدية بعرض اسلوبه ومعانيه بطريقة عرض أسلوب العرب ومعانيهم، وحسب المنطق الذي يتكلم به.

٢) ينهج الشهيد الصدر قدس سره في منهجه اللغوي المنهج الجديد، والطريقة المثلى في التفسير وهو رغم ما كتبه في تفسير جزء واحد من القرآن الكريم، الا انه استطاع ان يضع الأسس لمنهج تفسيري جديد.

٣) وحين يعرض في تفسيره الجوانب النحوية، يعرض الأعراب لفهم مفردات القرآن الكريم وهو لا يعرض الأعراب لذاته، ولكنه يعرضه لما يستفيد من فهم الأسس القرآنية.

٤) هناك فهمان الفهم اللغوي والفهم النحوي وكلاهما مترابطان لخدمة التفسير القرآني والفهم الواضح لكل الصور المطلوبة في منهجه.

٥) تراه في التفسير يعرض لبعض العلماء الذين يراد من وجهات نظرهم، كالعكبري وابو حيان الاندلسي والراغب الأصفهاني، والفخر الرازي، والسيد محمد حسين الطباطبائي، حيث يضع دراساتهم اللغوية ويقوم بشرحها بحسب وجهات نظر اللغويين ويعطي رايه في هذه الاقوال.

٦) كل الالفاظ القرآنية تعرض على الفاظ العرب ومعانيهم ثم يبدأ بالتفسير بحسب المطلوب والمواكب للفكر الصحيح والمقارب للعقل.

٧) السيد الصدر كما يبدو من تفسيره في الاجزاء الخمسة هو ضليع في اللغة وافكارها وتأويلاتها وبلاغتها، ويستطيع أن يجلب من خلال تعددية الآراء، الراي الصحيح في الدراسة اللغوية.

المصادر

القرآن الكريم

١) ابن جني، ابو الفتح عثمان. الخصائص، ت: محمد علي النجار، ج١، ط٤. الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة، مصر.

٢) ابن عطية، ابن محمد عبد الحق الاندلسي. المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ط٢. دار ابن حزم- بيروت، لبنان.

٣) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ت: أحمد حسن صبيح، ط١. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٤) ابن فارس، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا. مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١. دار الفكر للطباعة والنشر- القاهرة، مصر.

٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري. لسان العرب، اليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣. دار صادر- بيروت، لبنان.

٦) الازهري، لأبي منصور محمد بن أحمد. التهذيب في اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار، ط١. الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، مصر.

٧) الالوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار احياء التراث – بيروت، لبنان.

٨) الاندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان. البحر المحيط، ت: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد معوض، ط، ١. دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

٩) الجابري، عبد الحكيم. مناهج المفسرين في اعراب القرآن، (رسالة دكتوراه). جامعة فردوسي مشهد، ايران.

١٠) الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ت: د. محمد محمد تامر، وآخرون. دار الحديث- القاهرة، مصر.
١١) الخوئي، أبو القاسم الموسوي. البيان في تفسير القرآن، ط ٨. دار الزهراء للطباعة والنشر- بيروت، لبنان.
١٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. مفردات غريب القرآن، ت: صفوان عدنان داوودي، ط٤. دار القلم- دمشق، سوريا.
١٣) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. جامع التفاسير، ت: احمد حسن فرحات، ط١. دار الدعوة- الكويت.
١٤) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج٢، ط٣. دار التراث للنشر- القاهرة، مصر.
١٥) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج٢، ط١. دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي- القاهرة، مصر.
١٦) الزمخشري، ابو القاسم جارالله محمود بن عمر، الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة- ط٣، بيروت، لبنان.
١٧) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الاتقان في علوم القرآن، ج١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط١، القاهرة، مصر.
١٨) السيوطي، جلال الدين. الاتقان في علوم القرآن، ت: شعيب الارناؤوط، ج٤. مؤسسة الرسالة ناشرون- ط١بيروت، لبنان.
١٩) الصدر، محمد صادق. منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج١. مؤسسة المنتظر لإحياء تراث السيد الصدر قدس سره - مقدمة التحقيق، ط١، النجف الاشرف، العراق.

٢٠) الطباطبائي، السيد محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ط١. مكتبة الاعلمي، بيروت، لبنان.
٢١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٩ و١٠. انتشارات ناصر خسرو- ط١. قم، ايران.
٢٢) الطبرسي، أمين الاسلام اسماعيل الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، دار العلوم للتحقيق، ط١. بيروت، لبنان.
٢٣) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن. التبيان في تفسير القرآن، ج١، ت: أحمد حبيب قصير العاملي. مكتبة الامين، النجف الاشرف، العراق.
٢٤) العكبري، أبي البقاء عبدالله بن الحسين. املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن، ج٢. دار الكتب العلمية بيروت- ط١، بيروت، لبنان.
٢٥) الفخر الرازي، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين. التفسير الكبير، ج١٢. دار الفكر للطباعة، ط١، بيروت، لبنان.
٢٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ت: أحمد البردوني، ابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، مصر.
٢٧) القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر. الجامع لأحكام القرآن، ج١، ت: عبد الله عبد المحسن، مؤسسة الرسالة. بيروت، لبنان.
٢٨) المتنبي، أحمد بن الحسين. ديوان المتنبي، ت: درويش الجويدي. المكتبة العصرية. بيروت، لبنان.
٢٩) حسين عبدالقادر. اثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب - ط١. القاهرة، مصر.
٣٠) خضير، محمد أحمد. الاعراب والمعنى في القرآن الكريم. مكتبة الانجلو مصرية – ط١، القاهرة، مصر.

٣١) طماس، حمدو، ديوان الخنساء، ط١. دار صادر- بيروت، لبنان.
٣٢) عبده، محمد. نهج البلاغة، ج.. 1 دار المعرفة – ط١، بيروت، لبنان.
٣٣) رفيدة، ابراهيم عبدالله. النحو وكتب التفسير. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط١، طرابلس ليبيا.